

نفحات القرآن

[387] وعلى هذا فيكون المراد من الآية هو: إن الذين يعرضون عن ذكر الله فَنَذُقَ يَذُقُ

ونسلم الشيطان عليهم(1). إن "نَذُقَ يَذُقُ" من مادة "قَذَى" وتعني قشر البيض ثم استعملت بمعنى الاستيلاء، واستعمال هذه المفردة في الآية أمرٌ مثير، حيث يكشف عن أن الشيطان عندما يَنَذُقُ يَذُقُ على الإنسان يحيط به من جميع الجهات، ويقطع اتصاله بالخارج بالكامل كما تفعل قشرة البيض بالبيض، وهذا أسوأ أنواع حجب المعرفة التي يُبتلى بها الإنسان، كما أن هناك مثلاً عند العرب يقرب معنى الآية للأذهان "استيلاء القيض على البيض". والأسوأ من هذا هو أن احاطة الشيطان بالإنسان واستيلاءه عليه ومقارنته له تستمر إلى درجة تجعله يفتخر بضلالتة ويحسب أن طريقه هو طريق الحق والهداية (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ). * * *

وقد تحدثت الآية الخامسة عن شياطين الإنس والجن الذين نصبوا العداء للأنبياء والذين أعدوا أنفسهم لإبطال فاعلية تعليم الأنبياء، ويوحى بعضهم إلى بعض أقاويل مزخرفةً باطلةً لا أساس لها من الصحة، كما يعلم بعضهم البعض طرق المكر والخداع، وذلك لإغفال الناس وكنم الحقائق وجعل الحجب عليها، وإبعاد الناس عن تعاليم الأنبياء. وينبغي ذكر هذه النقطة هنا وهي: إن العدو ذكر بصيغة المفرد، بينما الشياطين بصيغة الجمع، وهذا قد يكون من حيث أن الشياطين متحدون ومتفقون في سبيل إغفال الناس وخداعهم وكأنهم عدو واحد.

1 - راجع لسان العرب ومفردات الراغب وتفسير القرطبي وروح

البيان والميزان.